المجاميع الأدبية

(من مصادر تاريخنا الأدبي)

١ — في العهد العباسي

لم يهتمكنا في أيامنا الأخيرة في أمور السياسة ، ولم نعد نلتفت الى ثقافتنا أو آدابنا . وكان يؤمل الانتاج الأدبي ، والدراسات الأدبية من رجال أدبنا الا أنهم غمرتهم السياسة بسيلها الجارف ، فحرموا الفائدة كما حرموا التوجيه ، فكانوا أشبه بتجار قضى غالب عمره في مهنته ، وحاول في يوم واحد أن يصير حداداً ، فأضاع الأمرين ، وأخطأ المشيتين .

لم تر أمة أغفلت أمر ثقافتها ، ومدوّنات الأمم تشهد بهذا الميل فقدمت ما استطاعت الا أن رجالنا تباعدوا حتى عن التوجيه . وفي هذه الحالة ليس لنا الا أن نرجع الى تاريخ أدبنا في عصوره القديمة ، أو بالتعبير الأولى الى مصادره لعلنا نلمح ما ييسر أو يدعو الى معرفة . فلم يبق لنا أمل إلا في تاريخ أدبنا ومصادره .

ومراجعنا التي نرجع اليها أو نعوّل عليها كثيرة لا تحصى . وهذه لحقها التمحيص العلمي ، والتنظيم والترتيب ، وتعاورت الآراء عليها بالنقد والتدقيق الصحيح . ومن أجل هذه المراجع (المجاميع الأدبية) ، فانها من خيرها . وهنا أذكر بعضها مما يفيد الشمول بنظرة سريعة الى آخر العهد العباسي ، ومن ثم أتناول ما بعد ذلك في العراق خاصة ليعلم ما هنالك من مصادر وبيان قيمتها العلمية والأدبية .

صار العرب في تاريخ أدبهم بابداع غير مسبوق بمثال ، فنهج الأدب نهجاً حراً في مادته ، وفي تاريخه ، فسدوّنوا عن الأدب الجاهلي ، فتكونت مؤلفات خالدة في تاريخه كما في مادته .

وهكذا فعلوا في المنتقى المختار منه كما جروا على ذلك في أدب المخضرمين ، وفي الأدب الأموي . وطريقتهم ماضية في أحيـــاء التراث الأدبي ، فكان عملهم هادياً ومرشداً حيث لا هادي ولا مرشداً .

ولم يكتفوا بهذا . وانما كتبوا مجاميع منوعة بصورة أمالي ، ومحاضرات فلم يتركوا أمراً من أدب العرب ، ولـكن الانتبـاه الأدبي ساق الى التنظيم عن أهل العصر ، ومراعاة السلسلة في الأدوار . كتبوا عن الأدب المعاصر ومخلفاته فيما رأوا من منظوم ومنثور ، فظهرت آدابهم في الآثار والمخلفات . وهـكذا ، في التاريخ الأدبي ، ومن ظهر من أدباء ، وما تكون من أدب .

وهـذا الأدب لم يهمل الأدب الجـاهلي . فاذا كان قد أدى خدمات جلى لفهم الكتاب ومجاري لغة العرب لتفهم آي الذكر الحـكيم ، فان الكتاب العزيز أكسب الأدب المعاصر رقة ، ونال من الحضارة تهذيباً ونفوفاً ، فكان أدب أهل العصر بعد الأدب الجاهلي ، والمخضرم ، والأموي ، فصح أن نسميه الأدب المعاصر ولـكنه لم ينسخ ما سبقه بل صار قوة وسنداً له .

وعلماؤنا كتبوا فيه كثيراً ، وهم أدباء بل لم يظهر عالم الا بما اكتسب من أدب قويم وثقافة كاملة من وجوهها المقبولة ، فـكتب أفاضل عديدون منهم (مجاميع) كل واحدة منها تمثل أدب أهل عصرها من العهود العباسية . وفيها عيون ما قال الأديب أو نطق به من مختار الشعر ، ومضوا بها حتى منتهى العصور العباسية . وفي كلها حافظ الأدب العربي على ارتباطه بما سبقه ، ولا يضارعه أدب أمة في هذا النهج ، وفي ذلك الزمن .

ويهمنا بيان أشهر مجاميع العهود العباســـية مما يفيد كمصدر للتاريخ الأدبي واطراده ، واستمرار أوضاعه كأدب موحد بل أدب واحد ، لم يهمل جاهليه ، ولا اسلاميه ، ولا أمويه ، ولا عباسيه .

وهذه أشهر المجاميع في التاريخ الأدبي :

١ — مجموعة هارون بن علي المنجم المتوفى سنة ٢٨٨ هـ — ٩٠٠ م وفيها ذكر ثلة كبيرة من الشعراء بلغوا ١٦١ شاعراً . افتتحها بـ (بشار بن برد) ، وختمها بـ (محمد بن عبدالملك) .

اختار فيها من كل شاعر عيون شعره ، فأغنى عن دواوينهم . وهذا الأستاذ فتح باباً فى هذه (الخطة الأدبية) ، أو فى تدوين (الأدب المعاصر) ، بجمع ما ظهر من أدب ، فوحّده ونظمه أو رتبه ترتيباً علمياً . فكان له الفضل الكبير الذي لا ينساه (تاريخنا الأدبي) . وسمى كتابه هذا (البارع فى شعراء المولدين) .

والملحوظ ان هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبله فى هذا الفن ، فحذف منه ما حذف لسعته ، وليسهل تداوله ، وينتفع العموم ، فصار أصلاً نسج كثيرون على منواله ، فلاحقوا العصور لمن تلا من أدباء ، فصار هذا الأثر صفحة تاريخية عظيمة الأثر فى تاريخنا الأدبي كما فى أدبنا عما لم تملكه أمة في تاريخ أدبها من ثروة وفنى أدبي . بحيث صار كل مجموع أدباً معاصراً لمن كان في عهده من أدباء . ومن مجموع ذلك (تاريخنا الأدبي) .

ومجموعة النجم خفيت عن الأنظار ، أوفقدت ، تخلفتها مجاميع عوضت . وجاء فى (كشف الظنون) ذكر (كتاب الباهر) في شعر المخضرمين من شعراء الدولتين . وهذا من تأليف أبي منصور يحيى بن علي المنجم وهو أخو هارون ووقف فى مروان بن أبي حفصة ، فأتمه ابنه أحمد ابن يحيى ومثله فى (ابن خلكان) الا أن ياقوت الحموي ذكر أنه فى المخضرمين دون ذكر الدولتين ومهما كان فان هارون وأخاه وابن أخيه قاموا بمهمة تاريخية أدبية مهمة . ولكن الملحوظ من بيان صاحب الكشف ، وصاحب الوفيات أن الباهر والبارع يشتركان فى الموضوع ، ويؤسف اضياع هذين الأثرين والأمل أن يعثر عليهما ، لتزيد الثقافة ، وتعيّن أول من كتب في تاريخ أدبنا ، وصارت خطته نهجاً لمن جاء بعده .

هذا مع العلم بأن أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ — ٨٦٤ م قد سأله ابن دريد المشهور عن الشعراء المولدين فتمت جماعة منهم بخير النعوت وهذه الرسالة عندى بخطوطتها . وربما تعدّ أول ما كتب فى سلسلة شعرائنا . ومثله (كتب طبقات الشعراء) .

٢ — مجموعة اليزيدي بخط الأستاذ ابن أسد المتوفى سنة ٤١٠ هـ — ١٠٢٠ م وهو من الاساتذة المشهورين فى الخط أخذ عن ابن مقلة . رأيت بخطه كتاباً (مراثٍ وأشعار وأخبار

ولغة) عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي [1] عن ابن حبيب عن عمه الفضل عن اسحاق ابن ابراهيم الموصلي وغيره . وقال سمعت ذلك أجمع من أبي عبد الله وصححته ... وفيه ما سمعه أبو عبد الله من أبي حرب المهلّبي وعدة قصائد من اختيار المفضّل والأصمعي ذكر ذلك أبو عبد الله بن مقلة [2] ونقلته من أصله ، بخط محمد بن اسد بن علي القاري [3] سنة ٣٦٨ هـ — ٩٧٩ م . وابن أسد شيخ ابن البواب كما جاء في غلافها وأيد ذلك أبو الفداء وممن تملك هذه النسخة عبد القادر بن عمر البغدادي سنة ١٠٨٠ هـ — ١٦٧٠ م وكتب اسمه عليها [4] .

٣ — مجموعة الأستاذ الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ — ١٠٣٨ م أعني بها (يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر) . وألحق بها (تتمة اليتيمة) . وقد جمعا أدباً غزيراً لمختلف الأقطار الاسلامية . وكان الأدب العربي شائعاً ، والناس منصرفون اليه . طبعت اليتيمة في دمشق سنة ١٣٠٣ هـ وفي مصر سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م وتتمة اليتيمة طبعت في جزأين في طهران بتحقيق الأستاذ عباس اقبال سنة ١٣٥٣ هـ .

٤ — مجموعة أبي علي الحسن بن المظفر النيسابوري المتوفى في ٤ شهر رمضان سنة ٤٤٢ هـ — ١٠٥١ م وهذه المجموعة مهمة . ولم نقف عليها . وكنا نأمل أن تظهر هذه السلسلة ، فيعرف (تاريخ الأدب العربي) في الشعر خاصة لمختلف الأقطار العربية والاسلامية ، لتدرك

(١) ترجمته في تاريخ دول الأعيان تأليف ابن أبي عذيبة ج ٣ ص ١٥٥ مخطوطتي والسمعاني وفي هدية العارفين ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠ وتوفي سنة ٣١٣ هـ — ٩٢٥ م .

(٢) يريد به أخا الوزير .

(٣) جاء في تاريخ أبي الفداء ذكر اسمه بالوجه المذكور في ج ٢ ص ١٦٠ عند الكلام على (ابن البواب) ولم يذكره في تاريخ وفاته وهدية العارفين ج ٢ ص ٩١ وابن خلكان (وفيات الأعيان) ج ١ ص ٤٠٢ .

(٤) هذه النسخة في خزانة السليمانية من كتب الرئيس مصطفى برقم ٩٠٤ وهذا الكتاب طبع على هذه النسخة بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد دكن في الهند سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م . ولم تصور فيه الصفحة الاولى ليعرف خط ابن أسد .

درجة توغل هذا الأدب ، والميل اليه من جميع الأمم الاسلامية كما نطلع على شعراء المسلمين في هذه اللغة ودرجة التأثر بها . وجاء في معجم الأدباء : وله كتاب ذيله على تتمة اليتيمة لم أقف على اسمه [1] . وهو معاصر للثعالبي .

٥ — مجموعة الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ — ١٠٧٤ م . وهذه حذت حذو اليتيمة ، وجعلها ذيلاً عليها ، سمّاها (دمية القصر ، وعصرة أهل العصر) طبعت بالمطبعة العلمية بحلب باعتناء المرحوم الأستاذ محمد راغب الطباخ سنة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م . وأضاف إليها ملتقطات من ديوانه . وهنا أيضاً نرى الزمن متقارباً . فكان الاحصاء منقوصاً فأتمه ، وزاد عليه بمن تجدّد في شعره ، أو ظهر بما جدّ من الشعر . فزاد كل واحد من هؤلاء المؤرخين في الأدب شعراء فاتهم من سبق ، أو أغفل ذكرهم ، وبدا شعراء أتموا السلسلة . والمدة كافية لأن ينبغ أدباء في الشعر بعد من ذكرهم الأستاذ الثعالبي ، فظهروا في هذا العصر ، واقتضى التدوين منهم .

والظاهر أن الباخرزي كتب دون أن يعلم بالنيسابوري ، والمادة منتشرة ، وكان من المهم الاطلاع على المجموعتين لها ، وأن نعرف ما فات كل واحد منها . وليس بعيـــد أن نعثر على المجموعة الأولى من ذيول اليتيمة كما عثرنا على الأخرى فطبعت .

٦ — مجموعة أبي الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ـ ١١٦٩ م وكان من المؤرخين الأفاضل ، وله (مشارب التجارب) أتمّ به حوادث (تاريخ اليميني) ، و (تساريخ بيهق) و (تتمة صوان الحكمة) في تاريخ الفلاسفة . ومجموعته هذه سمّاها (وشاح الدمية) جعلها ذيلاً على دمية القصر للباخرزي ، فمضى على نهج من سبقه ، وروعيت السلسلة والترتيب بذكر ما فات ، وبيان ما جدّ .

٧ — مجموعـة الخطيري الورّاق المعروف بدلال الكتب المتوفى في صفر سنة ٥٦٨ هـ —

(١) معجم الأدباء طبعة الأستاذ (مارگليوث) ج ٣ ص ٢١٨ . وهدية العارفين ج ٢ ص ٢٧٥ .

١١٧٢ م . وسماها (زبدة الدهر وعصرة أهل العصر) . ذكر فيها ألطاف شعر العصر ، جعلها ذيلاً على دمية القصر [1] . ولا شك أنها اشتركت مع سابقتها وشاح الدمية . وكان أملنا كبيراً أن نقف على ما هنالك مما يعتبر رجال الأدب العربي ، ومخلفاتهم الأدبية المحافظة على اطراد الأدب ومراعاة ترتيب عصوره .

ونستطيع أن نعد كتاب (نزهة الألباء) في ضمن هذه المجاميع وهو لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ـ ١١٨١ م .

٨ — مجموعة العماد الكاتب الاصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ — ١٢٠٠ م وهو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين الملقب بـ (العماد الكاتب الاصبهاني) ويعرف بابن أخي الوزير . وكان كاتباً ، وفقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً ، واتقن الخلاف وفنون الأدب ، وله من الشعر والرسائل ما لا يحصى ، وكان قد نشأ باصبهان ، وقدم في حداثته ، وتفقه على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد الزرار مدرس النظامية ، وسمع بها الحديث من أبي الحسن علي ابن هبة الله بن عبد السلام ، ومن أبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، ومن أبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وغيرهم ، وأقام بهامدة ، ولما تخرج ومهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد ، فولاه النظر بالبصرة ، ثم بواسط [2] .

وعرفت ثقافته في الشام ، واشتهر فيها ، وظهرت مؤلفاته ، فكان غرة في جبين الدهر ، وآثاره تشهد بقدرته ، وتؤيد مكانته وعده دعاها بـ (خريدة القصر وجريدة العصر) وهذا الكتاب العظيم في عشرة مجلدات طبع في مصر القسم المتعلق بشعرائها ونشره الأساتذة أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس بمجلدين طبعا في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١ م وطبع المجلد الأول من قسم شعراء الشام في المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الدكتور شكري فيصل سنة ١٩٥٥ م وطبع المجلد الأول من قسم شعراء العراق في المجمع العلمي

(١) ابن خلكان الطبعة الكستلية ج ١ ص ٢٨٦ .
(٢) عيون الأنباء تأليف ابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٣٢٤ وفيه تفصيل ترجمته .

العراقي سنة ١٩٥٥ بتحقيق الأستاذ محمد بهجت الأثري والدكتور جميل سعيد ولا تزال بعض مجلداته مخطوطة وعندي مجلد مخطوط يتعلق بشعراء ايران يرجع لعصر المؤلف أو قريباً منه ونأمل أن تطبع بقية مجلداته وهو يعد ثروة أدبية غزيرة جمع شعراء العراق والشام والجزيرة ومصر والمغرب والعجم مما بعد سنة ٥٠٠ هـ — ١١٠٦ م وانتهى بسنة ٥٩٢ هـ — ١١٧٦ م ولم يترك إلا النادر الخامل وأحسن في هذا الكتاب وأجاد وجعل كتاب (زينة الدهر) مكملاً وذيله بكتابه (السيل على الذيل [1]) .

٩ — مجموعة ياقوت الحموي [2] المتوفى سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م . وهذه هي المسماة (معجم الأدباء) أو (إرشاد الأريب لمعرفة الأديب) في تلخيص للعصور المتأخرة ، وذكر لصفوتها ، وربما أغفت في مادتها متطلب الإجمال . فهي مجموعة نفيسة أجملت رجال الأدب للعصور الستة ، وجاءت بلا شك مكملة للخريدة وذيلها . وجامعة لمن تقدم من أدباء العصور ولو كانت مرتبة على تاريخ الوفيات لعددناها خلاصة لما قبلها من كتب (المجاميع) ولكنها جاءت على ترتيب المعاجم .

١٠ — مجموعة ابن الشعار الموصلي [3] المتوفى بعد سنة ٦٦٠ هـ — ١٢٦١ م . وهذه تتلو مجموعة العماد الأصبهاني بل انها تبدأ من سنة ٦٠١ هـ — ١٢٠٤ م وتنضي الى سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م أي الى قبل سقوط الخلافة العباسية ببغداد ومجموعته هذه تسمى (عقود الجمان في شعراء الزمان) ، وسماها (قلائد الجمان في فرائد الزمان) ، بدأ بهم من أوائل المائة السابعة الى السنة المذكورة أو إلى آخر العهد العباسي ، في عشرة مجلدات ضخام منه ثمانية مجلدات في خزانة السليمانية (أسعد أفندي) في استنبول وهي مسجلة من رقم ٢٣٢٣ الى ٢٣٣٠ ، وينقصه الثاني والثامن . وقد

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١١٠ .

(٢) تفصيل ترجمته في كتاب التعريف بالمؤرخين المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٧ م ج ١ ص ١٠ — ١٥ .

(٣) تفصيل ترجمته في كتاب التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٧٥ و ٧٦ .

بذلت جهوداً في التحري عنها ، فلم أتمكن . وكانت المحاولات غير مجدية . وفي كشف الظنون أنه بجلدان ، ولعلها كتابان .

وابن الشعار صاحب هذه المجموعة قال في مقدمة كتابه هذا أنه كان قارب إنهاء كتابه الموسوم بتحفة الوزراء المذيل على معجم الشعراء للمرزباني فأخذ أن يجمع من الشعراء الذين دخلوا في المائة السابعة وأدركوها ، وانخرطوا في سلك فريقها وجاوزوها ، ومن وطأ بساطها ، وسلك صراطها على حسب ما صار لدى حصوله . واتفق لي وقوعه ووصوله من شعراء عصري ومحاسن فضلاء دهري ... حاوياً لشوارد كلامهم ، مشتملاً على السمين والغث ، والقشيب والرث ، ليكون أجل في العيون وأبهى ، وأحلى في النفوس وأشهى ، لا يمل من تصفحه قاريه ، بل يروقه ما اشتملت عليه تطاويه ...

وفي مقدمته يذكر يتيمة الدهر والخريدة وكتباً عديدة كان هذا شأنها في تمثيل أهل عصرها . ولم يترك فيه من كان في ثغور الروم ، أو في ديار بكر . أو الشام مثل ابن الساعاتي وكشيرين ، وفي العراق ، وأكثر من شعراء اربل . وكان عاش فيها بخدمة ابن المستوفي أمداً طويلا . واعتمد تاريخه كثيراً .

وهذه المجاميع يتكون منها ومن غيرها مما هو أشمل وأعم مثل أمالي القالي والبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد ... تاريخ أدبنا ، وتعرفنا بخلاصته وصفوته بحذف فضوله ، وما يصح أن يستظهر من مختار الآداب .

وللأمم عناية بهذه المجاميع وفي ايران وتركيا والهند تعرف بـ (التذاكر) . وفي تركيا يقال لها أيضاً (مجموعة أدبية) . وكلها جرت على نهج العرب ، ولكنها لم تبلغ ما عندنا من إتقان واطراد ، فتعمد من أجل المختارات ، فهي خير مدرب للأدب الذي يبدأ بحفظ المختارات ، ثم بالتشطير ، فالتخميس ، ثم يمضي الى معارضة الشعراء في بعض القصائد ، فيعتبر كوسيلة للتمرين حتى يبدع . وعلى هذا النهج التدريب على النثر .

كانت هذه المجاميع تعدّ صفوة أدبنا ، ومن خير المصادر فى (التاريخ الأدبي) وعلى هذا جرى أدبنا فى الأقطار الأخرى ، وفى الأندلس خاصة ، وهو ذو صلة مكينة ، وعلاقة وثيقة بأدبنا وتاريخه .

وعلى كل حال عدنا جملة مجاميع لا على سبيل الاحاطة من مصادر تاريخ أدبنا وتسلسلها فى وثائقها للعهود العباسية بل فى أهم وثائقها وهي (المجاميع الأدبية) فهل العصور التالية جرت على غرار ذلك ؟ أو من نوع هذه الطريقة المستمرة ؟

٢ — فى عهود الفول والتركمان

لا شك أن المجاميع الأدبية للعهود العبّاسية أدت خدمات عظيمة لـ (تاريخ أدبنا) ، فكانت من أجل المصادر ، بل هي (تاريخ أدب) موسع لم يعهد مثله ، ولم يكن أوضح منها بتفصيل زائد إلا (أصل الآثار الأدبية الخاصة) ، من دواوين أو مجموعات تعين أدبياً ، وما توالى كذلك من أدب ناطق ... وأنى تحصـــل هذه فى مجموعة كاملة ، أو فى خزانة ، أو معهد ... !

وكان من المهمّ مراعاة هذه السلسلة لما بعد العهود العباسية فهل هناك ما يصح أن يعوّل عليه من مجاميع أمثال تلك للعصور التالية :

إننا الآن نتناول هذا الموضوع . ولا نسدم أمثال تلك المصادر ، وإنما روعيت تلك الحالة بينها فى العهود التالية ، واستمرت أمداً ، وان الفواصل التاريخية لم تهمل الآثار الأخرى بقدر المستطاع ، فالمجاميع الأدبية لم تنقل هذه المعرفة ، فصارت خير مرجع للمؤرخين ومصدراً للمتأدبين ، نقلوا المهم منها ، وعاد فى الإمكان الرجوع الى التواريخ ، ولم يؤثر بعد الزمن ، ولا فقدان آثاره فى الحروب أو بسبب الأيدي العابثة ، ومنها ما نقلتها الرغبة العلمية ، فصارت زينة المالك ، أو نماذج آدابها ، أو طريق التوسع فى المعرفة التاريخية .

فهنا مراجعنا ليست خاصة بناحية من نواحي الثقافة وهي (المجاميع) ، وانما هناك تواريخنا ،

بل إن تاريخ أدبنا لا يقف عند حدود التواريخ والاتصال بها ، وإنما الآثار الأدبيـــة نفسها وكتب النقد الأدبي وأمثالها وسيلة للمعرفة ، ولكن (المجاميع الأدبية) تهمنا أكثر ، فهي مما تدعو الحاجة إليها ، وتعد ألزم لموضوعنا ، وهي مختارات هذه العصور .

وهذه أشهر المجاميع الأدبية التي راعت السلسلة الماضية مما يعد في طليعة المصـادر لتاريخ أدبنـا .

١ — مجموعة ابن الساعي [1] . هذه يقال لها (لطائف المعاني في ذكر شعراء زماني) . وتعد من أجل المصادر لاكمال الطريق الموصل الى (تاريخ الأدب) . ومثل هذا الأثر لا يحتمل ضياعه . والأمل أنه مطمور في زوايا الإهمال ، فيحتاج إلى إثارة ، ولا يستطيع أن يعلن عن نفسه من تلقاء . وأمثاله من المهملات كثيرة بل أن المعروف الذي لا يحتاج الى تتبع لم يباشر في طبعه ولا اتخذت التدابير لانقاذه من التلف .

نعلم أن ابن الساعي ولد سـنة ٥٩٣ هـ — ١١٩٦ م وتوفي سـنة ٦٧٤ هـ — ١٢٧٥ م ، فهذه المجموعة المتعلقة بشعراء زمانه متداخلة بلا ريب مع مجموعة ابن الشـــعار ، وبين هؤلاء الشعراء من يعود للعصر العباسي الأخير فيشترك في الاستفادة العصران ، وإذا كانت فقدت حقيقة هذه المجموعة ، فمن الضروري أن نلتمس ما فيها من المؤلفـات التاريخية ، وفي المجاميع أمثالها لسد الخلل ، والزمن المقصود في هذه المجموعة يخص بالنظر إلينا ما بعد العهد العباسي ، وهو قليل في مدته ، ولم يكن مجهولاً جهالة مطلقة .

٢ — مجموعـة أخرى لابن السـاعي . وسماها (أخبـار الأدباء) . جاءت في كشف الظنون .

وهذه في الأدباء . وتفيـد العصور العباسـية أكثر من العصر التالي وهو عصر النقول ، عصر مؤلفها . ولعلها لا تخلو من علاقة ، ولو لمدة قصيرة .

(١) منتخب المختار ص٣٥ ومقدمة الجامع المختصر لابن الساعي للدكتور الأستاذ مصطفى جواد . والتعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٩٠ — ٩٥ .

وقد علمنا مؤخراً أنّ نسخة منه موجودة في مدينة حلب لدى وَرَثة الحاج قَدُّور التاجر الحلبي . وهي تقع في خمسة مجلدات مؤرّخة بسنة ٨٨٥ و ٨٨٦ هـ (١٤٨٠ و ١٤٨١ م) . قاله الأستاذ كوركيس عواد نقلاً عن ذيل فهرست بولس سباط ، المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٠ (ص ٣٨ الرقم ١٠١٧) .

٣ — مجموعة ابن الفوطي المتوفى في ٣٠ المحرم سنة ٧٢٣ هـ — ١٣٢٣ م . وهي (الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة) . وهذه متداخلة في مجموعة ابن الساعي وابن الشعار وان مثل هؤلاء الأفاضل كل واحد منهم كشف بلا ريب عن أمر جديد ، وتتضمن أمراً أو تعديلاً في سابقاتها .

وهذا أيضاً يعدّ من الآثار الضائعة أو الهالكة . وفي التحري عن وجوده وأمثاله يوصل قطعاً الى ما يكشف عن أدبنا وتاريخه . وهو ثروة في أدبنا لا تزال مجهولة ، ولكن هل خفي ما عندنا باختفاء هذه المجموعة ؟

ذلك ما لا أقوله . دوّنت التواريخ عن شعراء عديدين ربما كانوا من المهيمنين الذين لا ينكر أمرهم ، ولا يهمل شأنهم في التاريخ ، وفي تاريخ أدبنا . ولو كانت هذه المجموعة موجودة لأغنت في كشف عن هذه الصفحة الأدبية المهمة بصورة أوسع ممن كتب في التاريخ وله نفوذ نظر في التدوين . كان مارسه مدة ويكتب عن قدرة . خلف آثاراً عديدة ونافعة جداً .

وهذا الأثر وأمثاله نقل كثيرون منه . من أهمهم الذهبي ومن بعده ، وان ضياعه أواختفاءه عن الأنظار لم يحرمنا فوائده ، وإنما جعلنا في عناء من الانتفاع ، وطلب المراجع العديدة .

٤ — مجموعة أخرى لابن الفوطي . وهي (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) . وهذا وان كان تلخيصاً إلا أنه جامع لأدباء عديدين يشملون عصور العهد العباسي ثمن بعده من الشعراء والأدباء . وهذا لم يشر إلا على جزء منه ، وبعض نتف ، لا يهمل التتبع في أمره ، أزال

(١) تفصيل ترجمته في التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٥٨ — ١٦٣ .

عن صفحة وإن كان لا يخلو من نقص . ولعل الأيام تظهر أجزاءه الأخرى وان طابع (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) نقل ترجمته من مجمع الآداب في معجم الألقاب وهو أصل الملخص فلا ندري ما إذا كان رجع الى أصل الكتاب ، أو أنه نقل عن غيره ، أو اطلع على الترجمة منقولة من مجموع أو أنها مذكورة على نفس الشرح منقولة في حينها من الأصل .

وأعتقد أن المطبوع في الهند هو مجلد من الأصل . وجاء عنوان الكتاب مغلوطاً ويبدأ بحرف الكاف من الألقاب . ويستبعد أن يكون من التلخيص حققه الأستاذ الفاضل الحافظ محمد عبد القدوس القاسمي نشر المجلد الأول سنة ١٩٣٩ م والثاني سنة ١٩٤٠ م في الهند ومن الملخص المجلد الرابع في الخزانة الظاهرية بدمشق وأوراقه غير مرتبة بوجه الصحة .

ويعوض عن ذلك بعض التعويض (كتعاب ذيل مرآة الزمان) لقطب الدين اليونيني وأجزاؤه موجودة الى سنة ٧١٣ هـ ، والحوادث الجامعة المطبوع بهذا الاسم أشار إلى بعض الأدباء . ومؤلفات أخرى ليست من موضوع بحثنا من أهمها تاريخ الذهبي الكبير .

٥ — مجموعة تقي الدين عمر ابن الشيخ حسن بن أبي المفاخر عدي بن أبي البركات بن مسافر . وهو الذي ينتسب إليه أمراء اليزيدية . وهذه من مجاميع القرن السابع . وتعد من أقدم المجاميع الأدبية إلا انها غير خاصة بعهد مؤلفها . وإنما هي مختارات قديمة وغيرها ، ويصح أن تعد من مجاميعنا الأدبية النافعة . وعندي أصل هذه النسخة في مجلد ضخم يرجع إلى عهد المؤلف ، وليس فيها ما يشم منه رائحة الغلو ، وتبدأ بالحمدلة والصلاة على النبي وآله وصحبه . ومختاراتها مهمة .

٦ — مجاني العصر (الحصر) في تاريخ أهل العصر لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الاندلسي ولد سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م وتوفي في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ — ١٣٤٤ م في مصر [1] .

٧ — معجم الشعراء والمنشدين (تعليقة في الشعر) .

(١) هدية العارفين ج ٢ ص ١٠٢ و ١٠٣ وفيه تفصيل مؤلفاته .

تأليف عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الدمشقي الشافعي، ولد في ١٩ المحرم ٦٩٤ هـ — ١٢٩٤ م وتوفي في مكة في العشر الثاني من جمادى الأولى سنة ٧٦٧ هـ [١] — ١٣٦٥ م وفي هذا الكتاب ذكر جماعة من شعراء وأدباء بغداد والعراق وينقل من تاريخ ابن النجار . منه نسخة في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٣٣٤٦ اسمها (نزهة الالبا) أو (تذكرة الأدبا) ولم يذكرها صاحب كشف الظنون قال لي ذلك الدكتور الاستاذ مصطفى جواد .

وجاء في هدية العارفين ان اسم الكتاب المشار اليه (نزهة الألباب فيما لا يوجد في الكتاب) [٢] .

٨ — مجاميع أخرى . انقضى عهد المغول وشطر من الجلايرية ، والمجاميع الأدبية متصلة في العراق . وفي هذا العهد ، وما بعده بقليل انتشرت مجاميع في الشام ومصر ، غالبها ذو علاقة بالعراق ، وذو اتصال به لم يهملها أو يغفل أمرها أكابر رجال الشام ومصر . ومن أهم هذه مجاميع الصفدي مثل (الوافي بالوفيات) ، و (أعيان العصر وأعوان النصر) وهذا الأخير تكلم في رجال العراق ، وبينهم من كان له نصيب من الأدب ، توسع في تراجمهم وذكر أدبهم ، ومثله ابن فضل الله العمري في كتابه الخالد (مسالك الابصار) . وهكذا يقال في القلقشندي في صبح الأعشى ، والنويري في نهاية الارب وكثير غير ذلك .

ثم توالى التدوين في هذه الاقطار ، ولم تنس العراق ، فكان لهذا الانتقال في التدوين أثره ، ولم يحرم القطر الا أنه تناوبته حوادث ، وتوالت عليه أرزاء دمرت الكثير من مخلفاته ، واستمرت حالاته المؤلمة حتى دخول العثمانيين العراق . ومهما يكن فالعراق لم يفقد ما يبين حالته الادبية من آثاره ، ومن آثار أقطارنا العربية الاخرى . وللكلام على المجاميع الادبية في الاقطار العربية موطن لايسعه هذا البحث .

وجل ما نقول ان الاستاذ السيوطي كتب (بغية الوعاة) فحافظ فيه على الاتصال الادبي

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٢) هدية العارفين ج ١ ص ٥٨٢ .

وله مؤلفات أدبية أخرى .

هذا . والأمر غير مقصور على المجاميع الأدبية . وانما هناك (المادة الأدبية) ، و (كتب النقد الأدبي) ، و (كتب التاريخ) مما يطول تعداده ، وبيان قيمته الأدبية ، أو علاقته بأدبنا . وكل هذه لايزال أدباؤنا في غفلة عنها مع أنها توضح صفحات فى الآداب ، وفى رجال الأدب . وهكذا تمتد العلاقة الى أيامنا الحاضرة مما لايسع التفصيل فيه ، فقد استمر البحث الى عصورنا الأخيرة من عراقيين عديدين .

ولا شك ان حالة العصر هذه امتدت الى العهد العثماني ، وفيها بيان مجاري الأدب ونهج الثقافة ومثلها الحالات السياسية والعلاقة الأدبية بها توضح اكثر ، وتزيد فى البيان . فاذا كان الشعر مثلاً قد خرج من دائرة المديح والاستجداء نوعاً ، فلم يناصر من رجال السياسة ، فالوجهة الأدبية غير مقصورة على هذا النوع من الأدب ، وانما ولدت العصور اتجاهات جديدة فى الأدب وفى النقد الأدبي ، ولكل عصر اتجاهه الخاص به ، وفيه صفحات عظيمة النفع ..

وليس من موضوعنا التوسع فى هذه الناحية ، ولكن يهمنا أن نعين ان مترعمي الأدب عندنا غالبهم حفاة . وكيف يستطيع أداء المهمة ، أو الواجب المعين لها وقد جاءها اعتباطاً ، وكان فى هذا محروماً من المعرفة الأدبية وتاريخها ، وفى جهل عن السياسة الثقافية ومراميها ، أو محدود الفكر ، قاصر النظر ، جامداً مما يجعلنا فى ريب من ادارة الأدب ، أو أن يقوم بأعبائه أمثال هؤلاء فضلاً عن تمهد (التوجيه الادبي) .

— نعم هرمنا ادارة أدبنا ، ولا يزال العجز يسوده ، والخذلان يلازمه ، وفى هذه الحالة لا نلتفت الى الأقوال ، أو الدعاوى الفارغة وآية « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » تقف حجر عثرة فى طريق التزعم الأدبي ، والأدباء المترعمين .

نريد أن نمضي فى (تاريخ أدبنا) الى استقائه من منابعه الخالصة دون أن نكلف أنفسنا عناء ، وان نقوم بالمهمة قياماً صادقاً ، وكيف يقدر من لم يؤهب نفسه لها ، وليس له ما يؤهله وهو لايملك من المعرفة ما يصلح لذلك التوجيه ؟!

وفى (تاريخ أدبنا) رجعنا الى هذه المجاميع ، أو ما كانت هذه من مراجعه ، والى مخلدات الأدب ، وتعرفنا للعصر ومجاريه ، ولرجاله .. وفى هذه جماع الفائدة فلنستطق ما فيها . والامر ليس بالسهل ، وهو ما يجب أن نحاوله ، وأن ندرك بعض صفحاته . والأمر ليس موكولاً الى فرد ، أو أفراد بل الى عمل الأمة بتوجيه صحيح ، وجهد مكين الا ان البذرة قد تنمو ، وان المعرفة قد تتوالى فتتراكم ، وقد قيل قديماً « كل مجتهد مصيب » .

واننا فى هذه الحالة اذا كنا لم نشاهد كافة الآثار الأدبية ، ولا جميع خزائن الكتب فمن الضرورى أن يمضي التدوين فى طريقه ، وان لا نتأخر عنه ، فنزيد ونضيف ما يتيسر الحصول عليه حتى نبلغ المدى .

سمعنا كثيراً من بعض المدعين ان له كتاباً أو مؤلفاً فى الموضوع ، أو جمع من حين ، فهذه أقوال كل ما يمكننا أن نصفها بأنها ذرّ الرماد فى العيون ولو كانت لبانت ، فقد طال الانتظار ، ونفد الصبر ، وفوات المدة الطويلة فضحت صاحبها أو مدعيها .

وعلى كل حال مصادر أدبنا كثيرة . واذا وجدت المجاميع الأدبية فلا يعدل عنها ، فيستعان بغيرها ، وانما يكون ذلك عند الفقدان أو الغياب عن الأنظار أو أن نراعي الكل . ولا يقال بوجه ان الأدب انعدم . وان الثقافة ماتت بل تغير الاتجاه الأدبي ؛ ولم ينقطع الادب من الحركة والتطور المستمرين .

هذا . ما أمكن تلخيصه . والمعهد المعاني واسع . وله بحث خاص به فى تاريخ أدبنا .

عباس العزاوي